فصل في الإيمان والقدر وما يتعلق بذلك

وَبالقَدَرِ الإيمان حَتْمٌ وبالقَضَا　　فَمَا عَنْهُمَا لِلْمَرْءِ في الدِّينْ مَعْدِلُ
قَضَى رَبُنا الأشَيَاءَ مِن قَبْلِ كَونِهَا　　وَكُلُّ لَدَيهِ في الكِتَابِ مُسَجَّلُ
فَمَا كَانَ مِن خَيرٍ وشرٍّ فكُلُّهُ　　مِن اللهِ والرّحمنُ مَا شَاءَ يَفْعَلُ
فبالفضلِ يَهدِي مَن يشاء مِن الوَرَى　　وَبِالعَدلِ يُردِي مَن يَشاءُ ويَخْذِلُ
ومَا العَبدُ مَجْبُورًا ولَيسَ مُخَيرًا　　ولَكِنْ لَهُ كَسْبٌ ومَا الأمْرُ مُشْكِلُ
وإنَّ خِتَام المُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ　　إلى الثَّقَلَينِ الِجنِ والإِنْسِ مُرْسَلُ
بأفْضَلِ دِينٍ لِلْشَّرائِعِ نَاسِخٍ　　ولا يَعْتَرِيهِ النَّسْخُ مَا دَامَ يَذْبُلُ
فَمَا بَعْدَهُ وحْيٌ مِن اللهِ نَازِلٌ　　عَلَى بَشَرٍ والمُدَّعِي مُتَقَوِّلُ
وَإنَّا نَرَى الإيمانَ قَولًا ونِيَّةً　　وفِعْلًا إذَا مَا وافَقَ الشرعَ يُقْبَلُ
ويَنْقُصُ أحْيَانًا بِنُقْصَانِ طَاعةٍ　　ويَزْدَادُ إنْ زَادَتْ فَيَنْمُو ويَكْمُلُ
وَدُونَكَ مَن نَظْمِ القَرِيضِ قَصِيدَةً　　وجِيزَةَ ألفاظٍ جَنَاهَا مُذلّلُ
بَدْيعَةُ حُسْنٍ يُشْبِهُ الدُّرَ نَظْمُهَا　　ولَكِنَّهُ أحْلَى وأغْلَى وأجْمَلُ
عَقيدَةُ أهْلِ الحَقِّ والسلفِ الأَوَّلي　　عَلَيهِمْ لِمَنْ رَامَ النَّجَاةَ المُعَوّلُ
فَدُونَكَها تَحْوِي فَوَائِدَ جَمَّةً　　من العلم قد لا يحتويها المطوّلُ
فَيَا رَبِّ عَفْوًا مِنْكَ عَمَّا اجْتَرَحْتُهُ　　مِن الذنبِ عن عِلْمٍ وما كنتُ أجْهَلُ
فإني عَلَى نَفْسِي مُسِيءٌ ومُسِرفٌ　　وظَهْرِي بأوزَارِ الخَطِيئاتِ مُثْقَلُ
فَهَبْ لِي ذُنُوبي واعْفُ عنها تَفَضُّلاً　　عَليَّ فمِنْ شَأْنِ الكَرِيمِ التَّفَضُّلُ
وأحْسَنُ ما يزهو به الخَتْمُ حَمْدُ مَن　　بِأَسمَائِهِ الحُسْنَى لَهُ نَتَوَسّلُ
وأزكى صلاةً والسلامُ عَلَى الذِي　　بَهِ تَمَّ عِقْدُ الأنْبِيَاءِ وكُمِّلُوا
مُحَمَّدٌ المُخْتَارُ مَا هَلَّ عَارِضٌ　　عَلَى بَلَدٍ قَفْرٍ ومَا اخْضَرَّ مُمْحِلُ
كَذَا الآلِ والأَصْحَابِ قَالَ قَائِلٌ　　نَفَيْتُمْ صِفَاتِ اللهِ فَاللهُ أَكْمَلُ

وقال رَحِمَهُ اللهُ تعالى ردًّا على عثمان بن منصور سنة ١٢٨

رَكِيكُ قَوَافٍ صَاغَهَا فَتَكَسَّرَتْ ... وَحَاصِلُهَا كَالْعِجَلِ مُسْتَوْجِبَ الْكَسْرِ
وَقَفَتْ عَلَى نَظْمٍ لِبَعْضِ بُنيِّ الْعَصْرِ ... تَضَمَّنُ أَقَوَّالًا بِقَائِلِهَا تُزري
تُخَيِّرُ حَرْفُ الرَّاءِ عَجْزًا وَإِنَّمَا ... يُعِدُّونَ حَرْفَ الرَّاءِ عَيرَ أولَى الشِّعْرِ
عِيوبًا كَسَاهَا زُخْرفُ القولِ خَادِعَا ... فَأَضْحَت بِحَمْدِّ اللهِ مَكْشُوفَةَ السَّترِ
بِهَا شُبهَ لِلجَاهِلينَ مُضِلَّةً ... أَكَاذِيبُ لَا تَخفَى عَلى كُلِّ ذِي حِجرِ
تَصَدَّى لَهَا حِبرُ الزَّمَانِ ونَجلَهُ ... فَردا وهدا مَا بَنَاهُ منَ القَعرِ
وَقَدْ بَينَّا لِلنَّاسِ مَا فِي كَلَامِهِ ... مِنَ الزَّيفِ والإفْراطِ والحيفِ والنُّكرِ
بِأَوضحِ برهان وأقومُ حجة ... لهَا قَرَّرَ الشيخانِ بالنظمِ والنثرِ
جَزَى اللهُ عنَّا شَيخَنَا فِي صَنيعَتِهِ ... فكَمْ قَدْ شَفَى بالرَّدِّ والسدِّ لِلثغرِ
إذا مبطلٌ أَجرَى مِن الجهلِ جدولًا ... أَتَاهُ بتيارٍ مِن العلمِ كَالبَحرِ
فَجَلَى ظَلَامُ الجهلِ والشكِ والعمَى ... بِنُورِ هُدَى يجلو الغياهبَ كَالفَجرِ
لَئِنْ كَانَ أَهلُ العلمِ كَالشُّهُبِ فِي السَّمَا ... فَعَالمُنَا بينَ الكَواكِبِ كَالبَدرِ
فَمَا لِابنِ مَنصُورٍ رَأَى هُجو قَومَهُ ... صوابًا فأزرَى بالقَريبِ وبالصَّهرِ
وَأَثنَى عَلَى قَومٍ طُغَّام بِكَونِهِم ... بَنُوا فِي القُرَى تِلكَ المسَاجِدِ للذكرِ
كَأَنْ لَم تَكُنْ تُتلَى عَلَيهِ براءةً ... ولم يتلُ فِيهَا إِنَّمَا سَائِرُ العُمرِ
وَلَم يَنظُرْ الشِّركَ الَّذِي فِيهُم فَشَا ... فَكَمْ قُبَّةٌ شَيدُوهَا عَلَى قَبرٍ
وَطَافُوا عَلَيهَا خَاضِعِينَ تَقَرُّبَا ... إلى ذَلِكَ المَقبُورِ بِالذَّبحِ والنَّذرِ
وَكَمْ سَأَلُوا الأَموَاتَ كَشفِ كُرُوبِهِمْ ... ولَا سِيمَا فِي الفُلكِ فِي لُجَجِ البَحرِ
فَزَادُوا عَلَى شِركِ الأَوائِلِ إذ دعُوا ... سِوى اللهِ فِي حَال الرَّخاءِ وفي العسرِ
وَتخرِيجُهُ لِلمُسلِمِينَ مُشَبِهَا ... وَلَهُم بِالحَرُورِيينَ بِالبَغيِ والفَجرِ
فَيَا لَيتَ شِعري هَل تَجَاهَل أو غوَى ... فَشتَانَ مَا بينَ الهِدَايةِ والكفرِ
وَلَكِنَّهُ أَبدَى مُوافَقَةَ العِدَا ... لِيُثني عَليهِ الخصمُ فِي ذَلِكَ القَطرِ
فَهبه كَمَن أَغوَى الشَّيَاطِين فِي الفَلا ... فَأَصبَحَ حَيرانًا بِمَهمَهةِ قفرٍ

وَأَصحَابِهِ يَدعُونَه لِلهُدَى ائتنَا   وَلَا دَاء أَدعَى للعنادِ مِنَ السُّكَّرِ

فَسُبحَانَ مَن أَعمَى عيونًا عَنِ الهُدَى   وَقَد أَبصَرت والسَّمعِ مَا فِيهِ مِن وَقرِ

وَمَن يُنكِرِ الشَّمسَ المنيرةَ في الضُّحَى   إِذَا لَم يَكُن غَيم وفي سَاعةِ الظُّهرِ

وَرُبَّ فَتى مُستَصرخ صاحَ نادبًا   لَنَا فَأَجَبنا الصَّوتَ بِشِراكِ بالنَّصرِ

أَتَتكَ لِنَصرِ الدِّين مِنَا كَتَائِبٌ   تَجُر العَوالي فِي المثقَفَةِ السَّمرِ

وَكَمْ طَاعِنٌ فِي دِينِنَا وَمثلبٌ   رَمَينَاهُ إِذَا هَاجَا بِقَاصِمةِ الظُّهرِ

نُسلُّ المواضِي فِي الُحرُوبِ عَلى العِدا   ونَضرِبُ مَن يَهجُو بصمصامةِ الشّعرِ

فَدُونَكَ نَظمًا كَالزلالِ عذوبةً   يجرُّ ذِيولَ العزِ للدينِ والفَخرِ

بَدَا مِن أَدِيبٍ لم يقلْ مُتَغَزِّلًا   عُيونُ المَهَا بَينَ الرَّصَافَةِ والجِّسرِ

وَأَزْكَي صَلاةِ اللهِ ثُمَّ سَلَامِهِ   عَلَى المُصْطَفَى مَاحِي الضَّلالَةِ والكُفْرِ

كَذَا الآلِ والأَصْحَابِ ما هبَّتِ الصَّبَا   ومَا لَاحَ فِي الآفَاقِ مِن كَوكَبٍ دُرِى

وَمَا انهلَّ فِي الفَقرِ الغمامِ ومَا بَكَى   فَأضحَكَ دَمْعُ المُزَنِ مُبتَسِمُ الزَّهرِ